فصل

فى قدوم وفد كِنْدَةَ على رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : حدثنى الزهرى قال : قدم الأشعث بن قيس على رسول الله ﷺ فى ثمانين، أو ستين راكبا من كندة، فدخلوا عليه ﷺ مسجده قد رَجَّلُوا جُمَمَهُم[١]، وتسلحوا، ولبسوا جِبَاب[٢] الحِبَرَات مُكَفَّفَة بالحرير[٣]، فلما دخلوا قال رسول الله ﷺ : «أولم تُسْلِموا؟» قالوا : بلى، قال : «فما [بال][٤] هذا الحرير فى أعناقكم؟» فشقوه، ونزعوه، وألقوه، ثم قال الأشعث : يا رسول الله، نحن بنو آكل المُرَار، وأنت ابن آكل المرار، فضحك رسول الله ﷺ ثم قال : «ناسِبُوا بهذا النسب ربيعة بن الحارث، والعباس بن عبد المطلب» .

قال الزهرى، وابن إسحاق : كانا تاجرين، وكانا إذا سارا فى أرض العرب، فسئلا من أنتما؟ قالا : نحن بنو آكل المرار، يتعززون بذلك فى العرب فيدفعون به عن أنفسهم؛ لأن بنى آكل المرار من كندة كانوا ملوكا، قال رسول الله ﷺ : «نحن بنو النَّضْرِ بن كنانة، لا نَقْفُو أُمَّنَا، ولا نَنْتَفِى من أبِينَا»[٥] .

وفى المسند من حديث حماد بن سلمة، عن عقيل بن طلحة، عن مسلم بن هَيْضَم[٦] عن الأشعث بن قيس، قال : قدمنا على رسول الله ﷺ وفد كندة، ولا يرون إلا أنى أفضلهم، قلت : يا رسول الله، ألستم منا؟ قال : «لا، نحن بنو النضر بن

---

(١) الجُمَم : جمع الجُمَّة، وهى مجتمع شعر الرأس .
(٢) فى خ : «حيات»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٣) فى هـ : «الحبر» ، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك.
(٤) ليست فى ق ، ك، هـ ، وما أثبتناه من خ .
(٥) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٢٨) .
(٦) فى هـ : «مسلم بن مسلم»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

كنانة لا نَقْفُو أمنا[١] ولا نَنْتَفِى[٢] من أبينَا»، فكان الأشعث يقول : لا أوتى برجل نفى رجلا من قريش من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد[٣] .

وفى هذا من الفقه : أن من كان من ولد النضر بن كنانة، فهو من قريش .

وفيه : جواز إتلاف المال المحرم استعماله كثياب الحرير على الرجال، وأن ذلك ليس بإضاعة .

والمُرَار[٤] : هو شجر من شجر البوادى، وآكل المرار : هو الحارث بن عمرو بن حِجْر بن عمرو بن معاوية بن[٥] كِنْدة، وللنبى ﷺ جدة من كندة مذكورة، وهى أم كلاب بن مرة، وإياها أراد الأشعث .

وفيه : أن من انتسب إلى غير أبيه، فقد انتفى من أبيه، وقفى أمه أى : رماها بالفجور .

وفيها : أن كندة ليسوا من ولد النضر بن كنانة .

وفيه : أن من أخرج رجلا عن نسبه المعروف جُلِد حَدَّ القذف .

---

(١) فى خ : «أما»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٢) فى خ : «نقتفى»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٣) أحمد (٥ / ٢١١، ٢١٢)، وابن ماجه فى الحدود (٢٦١٢)، وفى الزوائد : «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ...»، وحسنه الألبانى .

(٤) فى خ : «والمراد» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.

(٥) فى خ : «من» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.

فصل

فى قدوم وفد الأشعريين وأهل اليمن

روى يزيد بن هارون عن حميد، عن أنس، أن النبى ﷺ قال : «يَقْدُم قوم هم أرَقُّ منكم قلوبا»، فقدم الأشعريون، فجعلوا يرتجزون :

غـــدا نلقـــى الأحبـــه محمـــــدا وحزبـــــه[١]

وفى صحيح مسلم، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، وأضعف قلوبا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والسكينة فى أهل الغنم، والفخر والخيلاء فى الفدادين [من] أهل الوَبَر قبل مطلع الشمس»[٢].

وروينا عن يزيد بن هارون، أنبأنا ابن أبى ذئب، عن الحارث بن عبد الرحمن، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقال : «أتاكم أهل اليمن كأنهم السَّحَاب هم خيار من فى الأرض»، فقال رجل من الأنصار : إلا نحن يا رسول الله، فسكت، ثم قال : إلا نحن يا رسول الله، فسكت ثم قال : [إلا نحن يا رسول الله، قال] : «إلا أنتم» كلمة ضعيفة[٣].

وفى صحيح البخارى : أن نفرا من بنى تميم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ، فقال : «أبشروا يا بنى تميم» فقالوا: بشرتنا، فأعطنا، فتغير وجه رسول الله ﷺ، وجاء نفر من

---

(١) أحمد (٣ / ١٠٥، ١٥٥) بإسناد صحيح .

(٢) مسلم فى الإيمان (٥٢ / ٨٢)، وأخرجه البخارى فى المغازى (٤٣٨٨)، وما بين المعقوفين منه .

(٣) أحمد (٣ / ٨٤) بإسناد حسن . وما بين المعقوفين ساقط من المطبوع .

أهل اليمن فقال : «اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم» قالوا : قد قبلنا، ثم قالوا : يا رسول الله، جئنا لنَتَفَقَّه فى الدين، ونسألك عن أول هذا الأمر، فقال : «كان الله، ولم يكن شىء غيره، وكان عَرْشُه على الماء، وكتب فى الذِّكْر كل شىء»[1].

(١)البخارى فى بدء الخلق (٣١٩١) .

obeikandl.com

فصل

فى قدوم وفد الأزْدِ على رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله ﷺ صُرَدُ بن عبد الله الأزدى، فأسلم، وحسن إسلامه فى وفد من الأزد، فأمَّره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن .

فخرج صرد يسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بِجُرَش، وهى يومئذ مدينة مغلقة، وبها قبائل من قبائل اليمن، وقد ضَوَتْ[1] إليهم خَثْعَم، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها، فرجع عنهم قافلا حتى إذا كان فى جبل لهم يقال له : شَكَرَ، ظن أهل جرش أنه إنما وَلَّى عنهم منهزما، فخرجوا فى طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم، [فقاتلهم][2] فقتلهم قتلا شديدا .

وقد كان أهل جرش بعثوا إلى رسول الله ﷺ رجلين منهم يرتادان، وينظران، فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد العصر إذ قال رسول الله ﷺ : «بأى بلاد الله شكر؟» فقام الجرشيان فقالا : يا رسول الله، ببلادنا جبل يقال له : كَشَر، وكذلك تسميه أهل جرش، فقال : «إنه ليس بكَشَر، ولكنه شَكَر» قالا : فما شأنه يا رسول الله؟ قال : فقال : «إن بُدْنَ الله لتنحر عنده الآن» .

قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر، وإلى عثمان، فقالا لهما : ويحكما إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما، فقوما إليه، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما،

---

(١) ضَوَت : أى أوَتْ .

(٢) ليست فى خ ،ق ، ك ، وما أثبتناه من هـ .

فقاما إليه، فسألاه ذلك، فقال : «اللهم ارفع عنهم»، فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما أصيبوا فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر، فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ، فأسلموا وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم[1] .

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٢٩، ٢٣٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٥٤، ٢٥٥) .

obeikandl.com

فصل

فى قدوم وفد بنى الحارث بن كعب على رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بَنْجران، وأمره[١] أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، ثلاثا، فإن استجابوا، فاقبل منهم وإن لم يفعلوا، فقاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه[٢]، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون : أيها[٣] الناس، أسلموا تُسلموا، فأسلم الناس، ودخلوا فيما دعوا إليه .

فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام، وكتب إلى رسول الله ﷺ بذلك، فكتب له رسول الله ﷺ أن يقبل، ويقبل معه وفدهم، فأقبل، وأقبل معه وفدهم، منهم : قيس ابن الحصين ذى الغَصَّة، ويزيد بن عبد المدان، ويزيد بن المُحَجَّل، وعبد الله بن قراد، وشداد بن عبد الله، وقال لهم رسول الله ﷺ : «بم كنتم تَغْلِبون مَنْ قاتلكم فى الجاهلية؟» قالوا : لم نكن نغلب أحدا، قال : «بلى»، قالوا : كنا نجتمع، ولا نتفرق، ولا نبدأ أحدا بظلم، قال : «صَدَقْتم»، وأمَّر عليهم قيس بن الحصين، فرجعوا إلى قومهم فى بقية من شوال، أو من ذى القعدة، فلم يمكثوا إلا أربعة أشهر حتى توفى رسول الله ﷺ[٤] .

---

(١) فى خ : «أمرهم»، وفى هـ : «أمر»، وما أثبتناه من ق ، ك .

(٢) فى خ : «وجهة»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٣) فى هـ : «يأيها» ، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٣٥)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٥٥)، ودلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٤١١، ٤١٢) .

فصل

فى قدوم وفد هَمْدَانَ عليه ﷺ

وقدم عليه وفد همدان، منهم : مالك بن النَّمَط، ومالك بن أيفع، وضِمَام بن مالك، وعمرو بن مالك، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك، وعليهم مُقَطَّعَات الحِبَرَات والعمائم العَدَنية على الرواحل المَهْرِيَّة، والأرْحَبِيَّة، ومالك بن النمط يرتجز بين يدى رسول الله ﷺ، ويقول :

إليك جاوزن[1] سواد الريف

فى هبوات الصيف والخريف

مخطمات بحبال الليف

وذكروا له كلامًا كثيرًا حسنًا، فصيحًا، فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا أقطعهم فيه ما سألوه، وأمَّر عليهم مالك بن النمط، واستعمله[2] على من أسلم من قومه، وأمره بقتال ثَقِيف، وكان لا يخرج لهم سرح إلا أغاروا عليه .

وقد روى البيهقى بإسناد صحيح من حديث أبى إسحاق عن البراء، أن النبى ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم إن النبى ﷺ بعث على بن أبى طالب ﷺ، فأمره أن يُقْفِلَ خالدا إلا رجلا ممن كان مع خالد أحب أن يُعْقِب مع على، فليعقب معه، قال البراء : فكنت فيمن عقب مع على .

---

(١) فى خ : «جاوزو» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.

(٢) فى خ، هـ : «استعملهم» ، وما أثبتناه من ق ، ك.

فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا، فصلى بنا على، ثم صفنا صفا واحدا، ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت هَمْدَان جميعا، فكتب على إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا، ثم رفع رأسه فقال : «السلام على هَمْدَانَ، السلام على همدان»[١]، وأصل الحديث فى صحيح البخارى[٢] .

وهذا أصح مما تقدم، ولم تكن همدان تقاتل ثقيفا، ولا تُغِير على سرحهم، فإن همدان باليمن، وثقيفا[٣] بالطائف .

(١)البيهقى فى الكبرى (٢ / ٣٦٩) .
(٢)البخارى فى المغازى (٤٣٤٩) .
(٣)فى خ، هـ : «ثقيف»، وما أثبتناه من ق ، ك .

obeikandl.com

فصل

فى قدوم وفد مُزَيْنَةَ على رسول الله ﷺ

روينا من طريق البيهقى، عن النعمان بن مُقَرِّن قال : قدمنا على رسول الله ﷺ أربعمائة رجل من مزينة، فلما أردنا أن ننصرف قال : «يا عمر، زَوِّد القوم»، فقال : ما عندى إلا شىء من تمر، ما أظنه يقع من القوم موقعا، قال : «انطلق فزودهم»، قال : فانطلق بهم عمر، فأدخلهم منزله، ثم أصعدهم إلى عُلِّيَّة، فلما دخلنا إذا فيها من التمر مثل الجمل الأوْرَق، فأخذ القوم منه حاجتهم، قال النعمان : فكنت فى آخر من خرج، فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها[1].

فصل

فى قدوم وفد دَوْس على رسول الله ﷺ قبل ذلك بخيبر

قال ابن إسحاق : كان الطُّفَيْل بن عمرو الدُّوسى يُحدِّث أنه قدم مكة، ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلا شريفا، شاعرا، لبيبا، قالوا له : إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل ـ وهو الذى بين أظهرنا ـ فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنا[2] نخشى عليك، وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه، ولا تسمع

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٣٦) . وأخرجه أحمد (٥ / ٤٤٥)، وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٣٠٤) : «رجاله رجال الصحيح» .

(٢) فى خ : «إنما»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

منه، قال : فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا[1] أسمع منه شيئا، ولا أكلمه، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفا؛ فَرَقًا من أن يبلغنى شىء من قوله.

قال : فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة، فقمت قريبا منه، فأبى الله إلا أن يسمعنى بعض قوله، فسمعت كلاما حسنا، فقلت فى نفسى : واثكل أُميّاه، والله إنى لرجل لبيب، شاعر، ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان ما يقول حسنا قبلت، وإن كان قبيحا تركت .

قال : فمكثت حتى انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته فتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت : يا محمد، إن قومك قد قالوا لى : كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله عز وجل إلا أن يسمعنيه، فسمعت قولا حسنا، فاعرض علىَّ أمرك، فعرض علىّ رسول الله ﷺ الإسلام، وتلا على القرآن، فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه، ولا أمرا أعدل منه، فأسلمت، وشهدت شهادة الحق، وقلت : يا نبى الله، إنى امرؤ مطاع فى قومى، وإنى راجع إليهم فداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لى آية، تكون عونا لى عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال : «اللهم اجعل له آية» .

قال : فخرجت إلى قومى حتى إذا كنت بثنية تُطلِعنى على الحاضر، وقع نور بين عينى مثل المصباح، قال : قلت : اللهم فى غير وجهى، إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلَة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم، قال : فتحول فوقع فى رأس سوطى كالقنديل المعلق، وأنا أنهبط إليهم من الثنية حتى جئتهم، وأصبحت فيهم، فلما نزلت أتانى أبى وكان شيخا كبيرا، فقلت : إليك عَنِّى، يا أبت، فلست منى ولست منك، قال : لم يا بنى؟ قلت : قد أسلمتُ وتابعتُ دين محمد ﷺ، قال : يا بنى، فَدِينى دينك، قال:

(١) فى هـ : «أنى»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

فقلت : فاذهب يا أبت، فاغتسل، وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت، قال : فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم .

ثم أتتنى صاحبتى فقلت لها : إليك عنى، فلستُ منى ولست منك، قالت : لم بأبى أنت وأمى؟! قلت : فَرَّقَ الإسلام بينى وبينك، أسلمتُ وتابعتُ دين محمد ﷺ، قالت : فَدِينى دينك، قال : قلت : فاذهبى فاغتسلى، ففعلت، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت، ثم دعوت دَوْسا إلى الإسلام فأبطؤوا على .

فجئت رسول الله ﷺ فقلت : يا نبى الله، إنه قد غلبنى على دوس الزنى، فادع الله عليهم، فقال : «اللهم اهْدِ دَوْسًا»، ثم قال : «ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله، وارفق بهم»، فرجعت إليهم، فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله، ثم قدمت على رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بخيبر، فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس، ثم لحقنا رسول الله ﷺ بخيبر، فأسهم لنا مع المسلمين .

قال ابن إسحاق : فلما قبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب، خرج الطُّفَيْل مع المسلمين حتى فرغوا من طُلَيْحة، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة، ومعه ابنه عمرو ابن الطفيل، فقال لأصحابه : إنى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى : رأيت أن رأسى قد حُلِق، وأنه قد خرج من فمى طائر، وأن امرأة[1] لقيتنى فأدخلتنى فى فرجها، ورأيت أن ابنى يطلبنى طلبا حثيثا، ثم رأيته حبس عنى .

قالوا : خيرا رأيت، قال : أما والله، إنى قد أولتها، قالوا : وما أولتها؟ قال : أما حلق رأسى فوضعه، وأما الطائر الذى خرج من فمى فروحى، وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالأرض، تحفر فأغيب فيها، وأما طلب ابنى إياى وحبسه عنى، فإنى أراه سيجهد لأن يصيبه من الشهادة ما أصابنى، فقتل الطفيل شهيدا باليمامة،

---

(١) فى خ : «امرأتى»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

وجرح ابنه عمرو جراحا شديدا، ثم قتل عام اليرموك شهيدا فى زمن عمر رضي الله عنه[١].

فصل

فى فقه هذه القصة

فيها : إن عادة المسلمين كانت غسل الإسلام قبل دخولهم فيه، وقد صح أمر النبى ﷺ به[٢]، وأصح الأقوال: وجوبه على من أجنب فى حال كفره، ومن لم يُجْنب .

وفيها : إنه لا ينبغى للعاقل أن يقلد الناس فى المدح والذم، ولا سيما تقليد من يمدح بهوى، ويذم بهوى، فكم حال هذا التقليد بين القلوب وبين الهدى، ولم ينج منه إلا من سبقت له من الله الحسنى .

ومنها : إن المدد إذا لحق بالجيش قبل انقضاء الحرب أسهم لهم .

ومنها : وقوع كرامات الأولياء، وأنها إنما تكون لحاجة فى الدين أو لمنفعة للإسلام[٣]، والمسلمين، فهذه هى الأحوال الرحمانية سببها متابعة الرسول، ونتيجتها إظهار الحق، وكسر الباطل، والأحوال الشيطانية ضدها سببا، ونتيجة .

ومنها : التأنى والصبر فى الدعوة إلى الله، وألا يُعجل بالعقوبة والدعاء على العصاة .

وأما تعبيره حلق رأسه بوضعه؛ فهذا لأن حلق الرأس وَضْعُ شعره على الأرض، وهو لا يدل بمجرده على وضع رأسه، فإنه دال على خلاص من همٍّ، أو

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٣٣ ـ ٣٧)، والبيهقى فى دلائل النبوة (٥ / ٣٦٠ ـ ٣٦٣) .

(٢) أحمد (٥ / ٦١)، وأبو داود فى الطهارة (٣٣٥)، والترمذى فى أبواب الصلاة (٦٠٥)، وقال : «هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وصححه الألبانى .

(٣) فى خ : «الإسلام»، وفى هـ : «فى الإسلام» ، وما أثبتناه من ق ، ك.

مرض، أو شدة لمن يليق به ذلك، وعلى فقر، ونَكَد، وزوال رياسة وجاه لمن لا يليق به ذلك .

ولكن فى منام الطفيل قرائن اقتضت أنه وَضْعُ رأسه، منها : أنه كان فى الجهاد، ومقاتلة العدو أولى الشوكة والبأس . ومنها : أنه دخل فى بطن المرأة التى رآها، وهى الأرض التى هى بمنزلة أمه، ورأى أنه قد دخل فى الموضع الذى خرج منه، وهذا هو إعادته إلى الأرض كما قال تعالى :﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه : ٥٥]، فأوّل المرأة بالأرض، إذ كلاهما[١] محل الوطء، وأول دخوله فى فرجها عودة إليها، كما خلق منها، وأوّل الطائر الذى خرج من فمه بروحه، فإنها كالطائر المحبوس فى البدن، فإذا خرجت منه كانت كالطائر الذى فارق حبسه فذهب حيث شاء .

ولهذا أخبر النبى ﷺ : «أن نَسْمَة المؤمن طائر يَعْلَق فى شَجَر الجنة»[٢]، وهذا هو الطائر الذى رؤى داخلا فى قبر ابن عباس لما دفن، وسُمع قارئ يقرأ :﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفجر]، وعلى حسب بياض هذا الطائر، وسواده، وحسنه، وقبحه تكون الروح، ولهذا كانت أرواح آل فرعون فى صور طيور سود ترد النار بكرة وعشية، وأول طلب ابنه له باجتهاده فى أن يلحق به فى الشهادة، وحبسه عنه هو مدة حياته بين وقعة اليمامة واليرموك، والله أعلم .

---

(١) فى خ : «إذا كلاهما» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٢) النسائى فى الجنائز (٢٠٧٣)،وابن ماجه فى الزهد (٤٢٧١)، وأحمد (٣ / ٤٥٥)، وصححه الألبانى.

فصل

فى قدوم وفد نَجْرَان عليه ﷺ

قال ابن إسحاق : ووفد على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران بالمدينة، فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير، قال : لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده، بعد [صلاة][(١)] العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون فى مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله ﷺ : «دَعُوهُم»، فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم[(٢)].

قال : وحدثنى يزيد بن سفيان، عن ابن البيلمانى، عن كُرْز بن علقمة، قال : قدم على رسول الله ﷺ وفدُ نصارى نجران، ستون راكبا، منهم : أربعة وعشرون رجلا من أشرافهم، والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم : العاقب أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذى لا يَصْدُرون إلا عن رأيه، وأمره، واسمه عبد المسيح، والسيد، ثِمَالهم[(٣)] وصاحب رحلهم، ومجتمعهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بنى بكر بن وائل أسقفهم، وحَبْرُهم، وإمامهم، وصاحب مِدْرَاسِهم[(٤)].

وكان أبو حارثة قد شَرُف فيهم، ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شَرَّفوه، ومَوَّلُوه، وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه مِنْ علمه، واجتهاده فى دينهم .

---

(١) ليست فى ق ، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢١٦، ٢١٧) .
(٣) الثِّمال : الملجأ والغياث، وقيل : هو المُطْعِم فى الشدّة .
(٤) المِدْرَاس : صاحب دراسة كتبهم .

فلما وجَّهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له مُوَجِّهها إلى رسول الله ﷺ، وإلى جنبه أخ له يقال له : كُرْز بن علقمة يسايره، إذ عثرت[١] بغلة أبى حارثة، فقال له كرز : تعس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ، فقال له أبو حارثة[٢] : بل أنت تعست، فقال له : ولم يا أخى؟ فقال : والله، إنه النبى[٣] الأمى الذى كنا ننتظره، فقال له كرز : فما[٤] يمنعك[٥]، وأنت تعلم هذا؟ فقال : ما صنع بنا هؤلاء القوم : شرفونا، ومولونا، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، ولو فعلت نزعوا مِنَّا كُلَّ ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك[٦].

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال : حدثنى سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس، قال : اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده .

فقالت الأحبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى : ما كان إلا نصرانيا، فأنزل الله عز وجل فيهم :

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨ ﴾ [آل عمران] .

---

(١) فى خ : «يساره إلا عثرت»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٢) فى خ : «أبو الحارث» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.
(٣) فى خ : «للنبى» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ.
(٤) فى خ : «ما» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٥) أى : من اتِّباعه .
(٦) السيرة النبوية لابن هشام (٢ / ٢١٥، ٢١٦) .

فقال رجل من الأحبار : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من نصارى نجران : أو ذلك تريد يا محمد، وإليه تدعونا؟ فقال رسول الله ﷺ : «مَعَاذ الله أن أعبد[١] غير الله، أو آمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثنى، ولا أمرنى»، فأنزل الله عز وجل فى[٢] ذلك من[٣] قولهما[٤] :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۚ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [آل عمران] .

ثم ذكر ما أخذ[٥] عليهم، وعلى آبائهم من الميثاق بتصديقهم[٦]، وإقرارهم به على أنفسهم، فقال: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٨١][٧] .

وحدثنى محمد بن سهل بن أبى أمامة، قال : لما قدم وفد أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم نزل فيهم فاتحة آل عمران[٨] إلى رأس الثمانين منها[٩] .

وروينا عن أبى عبد الله الحاكم، عن الأصم، عن أحمد بن عبد الجبار، عن

---

(١) فى هـ : «نعبد»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .
(٢) فى خ : «من»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٣) فى خ : «فى»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٤) فى خ : «قولهم»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٥) فى هـ : «اتخذ» ، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك.
(٦) فى هـ : «تصديقه»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك.
(٧) دلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٣٨٤) .
(٨) فى خ : «فاتحة الكتاب آل عمران»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٩) دلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٣٨٥) .

يونس بن بُكَيْر، عن سلمة بن عبد يسوع، عن أبيه، عن جده ـ قال يونس : وكان نصرانيا فأسلم : إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران باسم إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب : «أما بعد، فإنى أدعوكم إلى عِبَادة الله مِنْ عِبَادة العِبَاد[(١)]، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب[(٢)]، والسلام» .

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه فَطِعَ به، وذعره[(٣)] ذعرا شديدا، فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له : شُرَحْبِيل بن وَدَاعَة، وكان من همدان، ولم يكن أحد يُدعى إذا نزل مُعْضِلَة قبله، لا الأيهم، ولا السيد، ولا العاقب، فدفع الأسقف كتاب رسول الله ﷺ إليه فقرأه، فقال الأسقف : يا أبا مريم، ما رأيك؟ فقال شرحبيل : قد علمت ما وعد الله إبراهيم فى ذرية إسماعيل من النبوة، فما يؤمن أن يكون هذا هو ذلك الرجل، ليس لى فى النبوة رأى، لو كان من [أمر الدنيا أشرت عليك فيه برأيى، وجاهدت لك فيه، فقال الأسقف : تَنَحَّ، فاجلس][(٤)]، فتنحى شرحبيل فجلس ناحية .

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له : عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذى أصبح من حِمْير، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأى فيه، فقال مثل قول[(٥)] شرحبيل، فقال له الأسقف : تنح فاجلس، فتنحى فجلس ناحية .

فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران يقال له : جُبَار بن فيض، من بنى

---

(١) فى خ : «عبادة الله كالعباد»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٢) فى هـ : «بالحرب»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

(٣) فى خ : «ذعر» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٤) ساقط من المطبوع . وبدله كلام مكرر . ولم تنتبه إليه النسخ فى إعادة طباعتها . ولو جاز عدم استدراك السقط لعدم وجود مخطوط ، فما بال النسخ المطبوعة لم تنتبه إلى المكرر عند إعادة طبعه وبلونين!! .

(٥) فى خ : «مثل ما قال»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

الحارث بن كعب، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأى فيه، فقال له مثل قول شرحبيل، وعبد الله، فأمره الأسقف فتنحى .

فلما اجتمع الرأى منهم على تلك المقالة جميعا، أمر الأسقف بالناقوس فضرب به، ورفعت المسوح فى الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون[١] إذا فزعوا بالنهار، وإذا كان فزعهم بالليل ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران فى الصوامع .

فاجتمع ـ حين ضرب بالناقوس ورفعت المسوح ـ أهل الوادى، أعلاه وأسفله، وطول الوادى مسيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث[٢] وسبعون قرية، وعشرون ومائة ألف مقاتل، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأى فيه، فاجتمع رأى أهل الوادى منهم على أن يبعثوا شرحبيل ابن وداعة الهمدانى، وعبد الله بن شرحبيل، وجبار بن فيض الحارثى، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ .

فانطلق الوفد، حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حُلَلا لهم[٣]؛ يَجُرُّونها من الحِبَرَة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فلم يرد عليهم السلام، وتصدوا لكلامه نهارا طويلا، فلم يكلمهم، وعليهم تلك الحلل، والخواتيم الذهب، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وكانا معرفة لهم، كانا يخرجان العير فى الجاهلية إلى نجران فيشترى[٤] لهما من بُرِّها، وثمرها، وذرتها، فوجدوهما[٥] فى ناس من الأنصار والمهاجرين فى مجلس، فقالوا : يا عثمان، ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا بكتاب فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه، فسلمنا عليهن فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهارا

---

(١) فى خ : «يتعلمون»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٢) فى خ ، هـ: «ثلاثة»، وما أثبتناه من ق ، ك .
(٣) فى خ : «حالاتهم»، وفى هـ : «حلا لهم» ، وما أثبتناه من ق ، ك.
(٤) فى هـ : «فيشرى» ، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك.
(٥) فى خ : «فوجدهما» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

طويلا فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأى منكما، أنعود؟ فقالا لعلى بن أبى طالب وهو فى القوم : ما ترى يا أبا الحسن فى هؤلاء القوم؟

فقال على لعثمان وعبد الرحمن : أرى أن يضعوا حللهم هذه، وخواتيمهم، ويلبسوا[١] ثياب سفرهم، ثم يأتوا إليه[٢]، ففعل الوفد ذلك، ووضعوا حللهم، وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له : ما تقول فى عيسى؟ فإنا نرجع إلى قومنا، ونحن نصارى فيسرنا إن كنت نبيا أن نعلم ما تقول فيه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ما عندى فيه شىء يومى هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقال[٣] لى فى عيسى» .

فأصبح الغد، وقد أنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [آل عمران]، فأبوا أن يُقِرُّوا بذلك .

فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعدما[٤] أخبرهم الخبر، أقبل مشتملا على الحسن والحسين فى خميل له، وفاطمة تمشى عند ظهره للمباهلة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه[٥] : يا عبد الله بن شرحبيل، ويا جبار بن فيض، قد علمتما أن الوادى إذا اجتمع أعلاه وأسفله، لم يَرِدُوا، ولم يَصْدُروا إلا عن رأيى، وإنى والله أرى أمرا مقبلا، وأرى والله، إن كان هذا الرجل ملكا مبعوثا فكنا أول العرب طعنًا

(١) فى ق، هـ : «يلبسون»، وما أثبتناه من خ، ك .
(٢) فى هـ : «يأتون إليه»، وفى خ : «يعودون إليه»، وما أثبتناه من ق ، ك .
(٣) فى هـ : «ما يقال»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .
(٤) فى خ : «فلما» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٥) فى خ ، هـ: «صاحبه»، وما أثبتناه من ق ، ك .

فى عينه، ونرد[١] عليه أمره لا يذهب لنا من صدره، ولا مِنْ صدور قومه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا لأدنى العرب منهم جوارا، وإن كان هذا الرجل نبيا، مرسلا، فلاعناه فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرة، ولا ظفر إلا هلك، فقال له صاحباه : فما الرأى فقد وضعتك الأمور على ذراع، فهات رأيك؟ فقال : رأيى أن أُحَكِّمه، فإنى أرى رجلا لا يحكم شططا أبدا، فقالا له : أنت وذاك .

فلقى شرحبيل رسول الله ﷺ فقال : إنى قد رأيت خيرا من ملاعنتك، فقال : «وما هو؟» قال شرحبيل : حُكْمك اليوم إلى الليل، وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز .

فقال رسول الله ﷺ : «لَعَلَّ وراءك أحدًا يُثَرِّبُ عليك»، فقال شرحبيل له : سل صاحبى، فسألهما، فقالا : ما يَرِدُ الوادى، ولا يَصْدُر إلا عن رأى شرحبيل، فقال رسول الله ﷺ : «كافر» أو قال: «جاحد مُوَفَّق» .

فرجع رسول الله ﷺ، ولم يلاعنهم، حتى إذا كان من الغد أتوه، فكتب لهم هذا الكتاب :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبى رسول الله ﷺ لنجران[٢] إذ كان عليهم حكمه فى كل ثمرة، وفى كل صفراء[٣]، وبيضاء، وسوداء، ورقيق، فأفْضَلَ عليهم، وترك ذلك كله على ألفى حلة، فى كل رجب ألف حلة، وفى كل صفر ألف حلة، وكل حلة[٤] أوقية، ما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقى فبحساب، وما قضوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عَرَض أُخِذَ منهم بحساب،

---

(١) فى هـ : «وردّ»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .
(٢) فى خ : «نجران» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٣) فى خ : «صفر» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٤) فى خ : «محلة»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

وعلى نجران مثواة رسلى، ومتعتهم بها عشرين فدونه[١]، ولا يُحْبَس[٢] رسول فوق شهر، وعليهم عارية ثلاثين درعا، وثلاثين فرسا، وثلاثين بعيرا إذا كان كيد[٣] باليمن، ومغدرة[٤]، وما هلك مما أعاروا رسولى من دروع، أو خيل، أو ركاب فهو ضمان على رسولى حتى يؤديه إليهم، ولنجران وحسبها جوار الله، وذمة محمد النبى على أنفسهم، وملتهم، وأرضهم، وأموالهم، وغائبهم[٥]، وشاهدهم، وعشيرتهم، وتبعهم، وألا يُغَيِّرُوا مما كانوا عليه، ولا يُغَيَّر حق من حقوقهم، ولا ملتهم، ولا يُغَيَّر أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا وَافِهٌ عن وَفَهِيَّتِه[٦]، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير.

وليس عليهم ريبة، ولا دم جاهلية، ولا يُحْشَرون، ولا يُعَشَّرون، ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم[٧] حقا فبينهم النَّصَف غير ظالمين، ولا مظلومين، ومن أكل ربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما فى هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله ﷺ، حتى يأتى الله بأمره ما نصحوا، وأصلحوا فيما عليهم، غير منقلبين[٨] بظلم» شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف، والأقرع بن حابس الحنظلى، والمغيرة [بن شعبة][٩]، وكتب: حتى إذا قبضوا كتابهم انصرفوا إلى نجران فتلقاهم الأسقف،

---

(١) فى خ: «فهادنوه»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٢) فى خ: «يجلس»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٣) فى خ: «كيله»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٤) فى هـ: «معذرة»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.
(٥) فى خ: «وغايتهم»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٦) الوَافِهُ: القَيِّم على البيت الذى فيه صليب النصارى بلغة أهل الجزيرة وجاء فى جميع النسخ بالقاف، لكن الصواب ـ كما قال ابن الأثير ـ بالفاء.
(٧) فى خ: «فيهم»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٨) فى خ: «متقين»، وفى هـ: «منقلين»، وما أثبتناه من ق، ك.
(٩) ليست فى خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ.

ووجوه نجران على مسيرة ليله ومع الأسقف أخ له من أمه، وهو ابن عمه من النسب، يقال له : بشر بن معاوية، وكنيته أبو علقمة .

فدفع الوفد كتاب رسول الله ﷺ إلى الأسقف فبينا هو يقرؤه، وأبو علقمة معه، وهما يسيران، إذ كَبَتْ ببشر ناقته فَتَعسَ بشر، غير أنه لا يكنى عن رسول الله ﷺ، فقال له الأسقف عند ذلك : قد والله تَعَّسْتَ[1] نبيا مرسلا، فقال بشر : لا جرم والله، لا أحُلُّ عنها عقدا حتى آتيه، فضرب وجه ناقته نحو المدينة، وثنى الأسقف ناقته عليه، فقال له : افهم عنى، إنما قلت هذا لتبلغ عنى العرب مخافة أن يقولوا : إنا أُخِذْنا حُمْقة، أو نخعنا لهذا الرجل بما لم تَنْخَعْ[2] به العرب، ونحن أعزهم، وأجمعهم دارا، فقال له بشر : لا والله، لا أقِيلُك ما خرج من رأسك أبدا، فضرب بشر ناقته، وهو مُوَلٍّ ظهره للأسقف، وهو يقول :

إليك تعدو[3] قَلِقًا وَضِينُها

معترضا فى بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

حتى أتى النبى ﷺ، ولم يزل مع النبى ﷺ حتى استشهد أبو علقمة بعد ذلك .

ودخل الوفد نجران، فأتى الراهب ابن أبى شِمْر الزبيدى، وهو فى رأس صومعة له، فقال له : إن نبيا قد بعث بتهامة، وإنه كتب إلى الأسقف فأجمع[4] أهل الوادى أن يسيِّروا إليه شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرحبيل، وجبار بن فيض فيأتونهم بخبره، فساروا حتى أتوه فدعاهم إلى المباهلة، فكرهوا ملاعنته، وحكَّمه

(١) فى خ : «فعشت»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٢) فى هـ : «نجعنا ... تنجع» ، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك.
(٣) فى خ، هـ : «تغدو»، وما أثبتناه من ق ، ك .
(٤) فى خ : «فاجتمع»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

شرحبيل فحكم عليهم حكما، وكتب لهم كتابا، ثم أقبل الوفد بالكتاب حتى دفعوه إلى الأسقف، فبينا[١] الأسقف يقرؤه، وبشر[٢] معه إذ كُبِت ببشر[٣] ناقته فَتَعَّسه، فشهد الأسقف أنه نبى مرسل، فانصرف أبو علقمة نحوه يريد الإسلام.

فقال الراهب: أنزلونى، وإلا رميت نفسى من هذه الصومعة فأنزلوه، فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله ﷺ، منها هذا البُرد الذى يلبسه الخلفاء، والقَعْب[٤]، والعصا، وأقام الراهب بعد ذلك يسمع كيف ينزل الوحى، والسنن، والفرائض، والحدود، وأبى الله للراهب الإسلام فلم يسلم، واستأذن رسول الله ﷺ فى الرجعة إلى قومه، وقال: إن لى حاجة، ومعادا ـ إن شاء الله تعالى ـ فرجع إلى قومه، فلم يعد حتى قبض رسول الله ﷺ.

وإن الأسقف أبا الحارث أتى رسول الله ﷺ، ومعه السيد، والعاقب، ووجوه قومه، وأقاموا عنده يستمعون ما ينزل الله عليه، فكتب للأسقف هذا الكتاب، وللأساقفة بنجران بعده: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبى للأسقف أبى الحارث، وأساقفة نجران، وكهنتهم، ورهبانهم[٥]، وأهل بيعهم، ورقيقهم، وملتهم، وسوقتهم[٦]، وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل وكثير، جوار الله ورسوله، لا يغير أسقف من سقفته، ولا راهب من رهابته، ولا كاهن من كهانته، ولا يُغيَّر حق من حقوقهم، ولا سلطانهم، ولا مما كانوا عليه، على ذلك جوار الله ورسوله أبدا ما نصحوا، وأصلحوا عليهم غير منقلبين[٧] بظالم، ولا ظالمين»، وكتب المغيرة بن

---

(١) فى خ: «فبينما»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٢) فى خ، ق، هـ: «بشير»، وما أثبتناه من ك.
(٣) فى ق، هـ: «ببشير»، وما أثبتناه من خ، ك.
(٤) القَعْب: القدح يروى الرجل.
(٥) فى خ، هـ: «رهبانيتهم»، وما أثبتناه من ق، ك.
(٦) فى خ: «سواقتهم»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.
(٧) فى هـ: «غيره منقلين»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

شعبة، فلما قبض الأسقف الكتاب استأذن فى الانصراف إلى قومه، ومن معه، فأذن لهم فانصرفوا[١].

وروى البيهقى ـ بإسناد صحيح إلى ابن مسعود ـ أن السيد، والعاقب أتيا رسول الله ﷺ، فأراد أن يلاعنهما، فقال أحدهما لصاحبه : لا تلاعنه، فوالله لئن[٢] كان نبيا فلاعنته لا نفلح نحن، ولا عَقِبنا من بعدنا، قالوا له : نعطيك ما سألت، فابعث معنا رجلا أمينا، ولا تبعث معنا إلا أمينا، فقال النبى ﷺ : «لأبعثن معكم رجلا أمينا حَقَّ أمين»، فاستشرف لها أصحابه، فقال : «قم يا أبا عُبيدة بن الجرَّاح» فلما قام قال : «هذا أمين هذه الأمة»[٣].

ورواه البخارى فى صحيحه من حديث حذيفة بنحوه[٤].

وفى صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة، قال : بعثنى رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا فيما قالوا : أرأيت ما يقرؤون ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم : ٢٨]، وقد كان بين عيسى وموسى ما قد علمتم، قال : فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فقال : «أفلا أخبرتهم أنهم كانوا يُسَمُّون[٥] بأسماء أنبيائهم والصالحين الذين كانوا قبلهم»[٦].

وروينا عن يونس بن بُكَيْر، عن ابن إسحاق، قال : وبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم[٧].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٣٨٥ ـ ٣٩١)، وانظر : البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧ / ٢٦٣ ـ ٢٦٩).

(٢) فى هـ : «إن»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٣٩٢) .

(٤) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٧٤٥)، ورواه مسلم فى فضائل الصحابة (٢٤٢٠ / ٥٥) .

(٥) فى خ : «يسمعون» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٦) مسلم فى الآداب (٢١٣٥ / ٩) .

(٧) دلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٣٩٤) .

فصل

فى فقه هذه القصة

ففيها : جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين .

وفيها : تمكين أهل الكتاب من صلاتهم بحضرة المسلمين، وفى مساجدهم أيضا، إذا كان ذلك عارضا، ولا يُمَكَّنون من اعتياد ذلك .

وفيها : أن إقرار الكافر الكتابى لرسول الله[1] ﷺ بأنه نبى، لا يدخله فى الإسلام، ما لم يلتزم طاعته، ومتابعته، فإذا تمسك بدينه بعد هذا الإقرار، لا يكون رِدَّة منه، ونظير هذا قول الحبرين له، وقد سألاه عن ثلاث مسائل، فلما أجابهما قالا : نشهد أنك نبى، قال : «فما يمنعكما من اتباعى؟» قالا: إنا نخاف أن تقتلنا يهود، ولم يلزمهما بذلك الإسلام .

ونظير ذلك شهادة عمه أبى طالب له بأنه صادق، وأن دينه من خير أديان البرية دينا، ولم تدخله هذه الشهادة فى الإسلام .

ومن تأمل ما فى السيرة والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب، والمشركين له ﷺ بالرسالة، وأنه صادق فلم تدخلهم هذه الشهادة فى الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد، والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا .

وقد اختلف أئمة الإسلام فى الكافر إذا قال : أشهد أن محمدا رسول الله، ولم يَزِدْ، هل يحكم بإسلامه بذلك؟ على ثلاثة أقوال، وهى ثلاث روايات عن الإمام أحمد :

---

(١) فى هـ : «للرسول»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

إحداها : يحكم بإسلامه بذلك .

والثانية : لا يحكم بإسلامه حتى يأتى بشهادة أن لا إله إلا الله .

والثالثة : إنه إن كان مقرا بالتوحيد حكم[١] بإسلامه، وإن لم يكن مقرا لم يحكم بإسلامه حتى يأتى به .

وليس هذا موضع استيفاء هذه المسألة، وإنما أشرنا إليها إشارة، وأهل الكتابين مجمعون[٢] على أن نبيا[٣] يخرج فى آخر الزمان، وهم ينتظرونه، ولا يشك علماؤهم فى أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وإنما يمنعهم من الدخول فى الإسلام رئاستهم على قومهم، وخضوعهم لهم، وما ينالونه منهم من المال والجاه .

ومنها : جواز مجادلة أهل الكتاب، ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام مَنْ يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فلْيُوَلِّ ذلك أهله ولْيُخَلّ بين المطِىِّ وحاديها، والقوس وباريها، ولولا خشية الإطالة لذكرنا من الحجج التى تُلْزِم أهل الكتابين الإقرار بأنه رسول الله بما فى كتبهم، وبما يعتقدونه وبما لا يمكنهم دفعه ما يزيد على مائة طريق، ونرجو من الله ـ سبحانه ـ إفرادها بمصنف مستقل[٤] .

ودار بينى وبين بعض علمائهم مناظرة فى ذلك، فقلت له فى أثناء الكلام : لا يتم لكم القدح فى نبوة نبينا ﷺ إلا بالطعن فى الرب ـ تبارك وتعالى ـ والقدح فيه، ونسبته إلى أعظم الظلم، والسفه، والفساد، تعالى الله عن ذلك .

فقال : كيف يلزمنا ذلك؟

---

(١) فى خ : «فحكم»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٢) فى خ : «مجمعين»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٣) فى خ : «نبينا ﷺ» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٤) لعل المصنف رحمه الله يقصد كتابه «هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى» .

قلت : بل أبلغ من ذلك لا يتم لكم ذلك إلا بجحوده، وإنكار وجوده ـ تعالى ـ وبيان ذلك :

أنه إذا كان محمد عندكم ليس بنبى صادق، وهو بزعمكم ملك ظالم، فقد تهيأ له أن يفترى على الله، ويتقول عليه ما لم يقله، ثم يتم له ذلك، ويستمر حتى يحرم ويحلل، ويفرض الفرائض، ويشرع الشرائع، وينسخ الملل، ويضرب الرقاب، ويقتل أتباع الرسل، وهم أهل الحق، ويسبى نساءهم، وأولادهم، ويغنم أموالهم، وديارهم، ويتم له ذلك حتى يفتح الأرض، وينسب ذلك كله إلى أمر الله ـ تعالى ـ له به، ومحبته له، والرب ـ تعالى ـ يشاهده، وما يفعل بأهل الحق، وأتباع الرسل، وهو مستمر فى الافتراء عليه ثلاثا وعشرين سنة، وهو مع ذلك كله يؤيده، وينصره، ويعلى أمره، ويمكن له من أسباب النصر الخارجة[1] عن عادة البشر .

وأبلغ من ذلك أنه يجيب دعواته، ويهلك أعداءه من غير فعل منه نفسه، ولا سبب، بل تارة بدعائه، وتارة يستأصلهم سبحانه من غير دعاء منه ﷺ، ومع ذلك يقضى له كل حاجة سأله إياها، ويعده كل وعد جميل، ثم ينجز له وعده على أتم الوجوه، وأهنئها، وأكملها، هذا وهو عندكم فى غاية الكذب، والافتراء، والظلم، فإنه لا أكذب ممن كذب على الله، واستمر على ذلك، ولا أظلم ممن أبطل شرائع أنبيائه ورسله، وسعى فى رفعها من الأرض، وتبديلها بما يريد هو، وقتل أولياءه وحزبه، وأتباع رسله، واستمرت نصرته عليهم دائما، والله ـ تعالى ـ فى ذلك كله يُقِرُّه، ولا يأخذ منه باليمين، ولا يقطع منه الوَتِين، وهو يخبر عن ربه أنه أوحى إليه أنه لا ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام : ٩٣] .

---

(١) فى خ : «الخارقة» ، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

فيلزمكم معاشر من كذبه أحد أمرين لا بد لكم منهما :

إما أن تقولوا : لا صانع للعالم، ولا مدبر، ولو كان للعالم صانع، مدبر، قدير، حكيم؛ لأخذ على يديه، وقابله[١] أعظم مقابلة، وجعله نكالا للظالمين؛ إذ لا يليق بالملوك غير هذا، فكيف بملك السماوات والأرض، وأحكم الحاكمين؟

الثانى : نسبة الرب إلى ما لا يليق به من الجور، والسفه، والظلم، وإضلال الخلق دائما أبد الآباد ونصرة الكاذب، والتمكين له من الأرض وإجابة دعواته، وقيام أمره من بعده وإعلاء كلماته دائما، وإظهار دعوته، والشهادة له بالنبوة قرنا بعد قرن على رؤوس الأشهاد فى كل مجمع[٢] وناد!

فأين هذا من فعل أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؟ فلقد قدحتم فى رب العالمين أعظم[٣] قدح، وطعنتم فيه أشد طعن، وأنكرتموه بالكلية، ونحن لا ننكر أن كثيرا[٤] من الكذابين قام فى الوجود، وظهرت له شوكة، ولكن لم يتم له أمره، ولم تطل مدته، بل سلط[٥] عليه رسله، وأتباعهم، فمحقوا أثره، وقطعوا دابره، واستأصلوا شأفته، هذه سنته فى عباده منذ قامت الدنيا، وإلى أن يرث الأرض ومن عليها .

فلما سمع منى هذا الكلام قال : معاذ الله أن نقول : إنه ظالم، أو كاذب، بل كل منصف من أهل الكتاب يقر بأن من سلك طريقه، واقتفى أثره، فهو من أهل النجاة، والسعادة فى الأخرى قلت له : فكيف يكون سالك طريق الكذاب، ومقتفى أثره بزعمكم من أهل النجاة، والسعادة؟ فلم يجد بدا من الاعتراف برسالته، ولكن لم يرسل إليهم .

---

(١) فى خ : «ولقابله»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٢) فى خ : «مجتمع» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٣) فى خ : «رب العالمين أعلم أعظم»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .
(٤) فى خ : «ونحوه بنكران كثير»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .
(٥) فى خ : «يغلظ»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

قلت : فقد لزمك تصديقه، ولابد وهو قد تواترت عنه الأخبار بأنه رسول رب العالمين إلى الناس كافة كتابيهم، وأميهم، ودعا أهل الكتاب إلى دينه، وقاتل من لم يدخل فى دينه منهم حتى أقروا بالصغار، والجزية، فبهت الكافر، ونهض من فوره .

والمقصود: أن رسول الله ﷺ لم يزل فى جدال الكفار على اختلاف مللهم، ونحلهم إلى أن توفى، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمر الله سبحانه بجدالهم بالتى هى أحسن فى السور المكية، والمدنية، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين وإنما جُعِل السيف ناصرا للحجة، وأعدل السيوف سيف ينصر حجج الله، وبيناته، وسيف رسوله وأمته .

فصل

ومنها : أن من [(١)] عظم مخلوقا فوق منزلته التى يستحقها بحيث أخرجه عن منزلة العبودية المحضة، فقد أشرك بالله، وعبد مع الله غيره، وذلك مخالف لجميع دعوة الرسل .

وأما قوله : إنه ﷺ كتب إلى نجران باسم إله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب [(٢)]، فلا أظن ذلك محفوظا وقد كتب إلى هرقل : «بسم الله الرحمن الرحيم»، وهذه كانت سنته فى كتبه إلى الملوك كما سيأتى إن شاء الله تعالى، وقد وقع فى هذه الرواية هذا، وقال ذلك قبل أن ينزل عليه : ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾ [النمل]، وذلك غلط على غلط، فإن هذه السورة مكية باتفاق، وكتابه إلى نجران بعد مرجعه من تبوك .

---

(١) فى خ : «فيمن» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ.

(٢) فى هـ : «ويعوب»، وما أثبتناه من خ ،ق ، ك .

وفيها : جواز إهانة رسل الكفار، وترك كلامهم إذا ظهر منهم التعاظم، والتكبر، فإن رسول الله ﷺ لم يكلم الرسل، ولم يرد السلام عليهم حتى لبسوا ثياب سفرهم، وألقوا حُلَلهم، وحُلاهم .

ومنها: أن السنة فى مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم يرجعوا بل أصروا على العناد، أن يُدعَوْا[1] إلى المباهلة، وقد أمر الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل : إن ذلك ليس لأمتك من بعدك، ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس لمن أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة، ودعا إليه الأوزاعى سفيان الثورى فى مسألة رفع اليدين، ولم ينكر عليه ذلك، وهذا من تمام الحجة .

ومنها : جواز صلح أهل الكتاب على ما يريد الإمام من الأموال، ومن الثياب، وغيرها، ويجرى ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم، فلا يحتاج إلى أن يفرد كل واحد منهم بجزية، بل يكون [كل][2] ذلك المال جزية عليهم يقتسمونها كما أحبوا، ولما بعث معاذا إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل حالم دينارا، والفرق بين الموضعين أن أهل نجران لم يكن فيهم مسلم، وكانوا أهل صلح، وأما اليمن فكانت دار الإسلام، وفيهم يهود، فأمره أن يضرب الجزية على كل واحد منهم، والفقهاء يخصون الجزية بهذا القسم دون الأول، وكلاهما جزية فإنه مال مأخوذ من الكفار على وجه الصَّغار فى كل عام .

ومنها : جواز ثبوت الحلل فى الذمة كما تثبت فى الدية أيضا، وعلى هذا فيجوز ثبوتها فى الذمة بعقد السلم، وبالضمان، وبالتلف كما ثبتت فيها بعقد الصداق، والخلع .

ومنها :أنه يجوز معاوضتهم على ما صالحوا عليه من المال بغيره من أموالهم بحسابه .

---

(١) فى خ : «يدعوهم»، وما أثبتناه من ق ، ك، هـ .

(٢) ليست فى ق ، ك، هـ ، وما أثبتناه من خ .

ومنها: اشتراط الإمام على الكفار أن يؤووا رسله، ويكرموهم، ويضيفوهم أياما معدودة .

ومنها: جواز اشتراطه عليهم عارية ما يحتاج المسلمون إليه من سلاح، أو متاع وحيوان، وأن تلك العارية مضمونة، لكن هل مضمونة بالشرط، أو بالشرع؟ هذا محتمل وقد تقدم الكلام عليه فى غزوة حنين، وقد صرح ها هنا بأنها مضمونة بالرد، ولم يتعرض لضمان التلف .

ومنها: أن الإمام لا يقر أهل الكتاب على المعاملات الربوية؛ لأنها حرام فى دينهم،وهذا كما لا يقرهم على السكر،ولا على اللواط، والزنى، بل يحدهم على ذلك.

ومنها: أنه لا يجوز أن يؤخذ رجل من الكفار بظلم آخر، كما لا يجوز ذلك فى حق المسلمين، وكلاهما ظلم .

ومنها: أن عقد العهد والذمة مشروط بنصح أهل العهد والذمة، وإصلاحهم، فإذا غشوا المسلمين، وأفسدوا فى دينهم، فلا عهد لهم ولا ذمة، وبهذا أفتينا نحن، وغيرنا فى انتقاض عهدهم لما حرقوا الحريق العظيم فى دمشق حتى سرى إلى الجامع، وبانتقاض عهد من واطأهم، وأعانهم بوجه ما، بل ومن علم ذلك، ولم يرفعه إلى ولى الأمر، فإن هذا من أعظم الغش، والضرر بالإسلام والمسلمين .

ومنها: بعث الإمام الرجل إلى أهل الهدنة فى مصلحة الإسلام، وأنه ينبغى أن يكون أمينا، وهو الذى لا غرض له، ولا هوى، وإنما مراده مجرد مرضاة الله، ورسوله لا يشوبها بغيرها، فهذا هو الأمين حق الأمين كحال أبى عبيدة بن الجراح .

ومنها: مناظرة أهل الكتاب، وجوابهم عما سألوه عنه، فإن أشكل على المسؤول سأل أهل العلم .

ومنها : أن الكلام عند الإطلاق يحمل على ظاهره حتى يقوم دليل على خلافه، وإلا لم يشكل على المغيرة قوله تعالى : ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم : ٢٨]، هذا وليس فى الآية ما يدل على أنه هارون بن عمران حتى يلزم الإشكال، بل المُورِد ضَمَّ إلى هذا أنه هارون بن عمران، ولم يكتف بذلك حتى ضم إليه أنه أخو موسى بن عمران، ومعلوم أنه لا يدل اللفظ على شيء من ذلك، فإيراده إيراد فاسد، وهو إما من سوء الفهم، أو فساد القصد .

وأما قول ابن إسحاق : إن النبى ﷺ بعث على بن أبى طالب إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم، ويقدم عليه بجزيتهم، فقد يظن أنه كلام متناقض؛ لأن الصدقة والجزية لا تجتمعان .

وأشكل منه ما ذكره هو وغيره أن النبى ﷺ بعث خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى سنة عشر إلى بنى الحارث بن كعب بنجران، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا، فإن استجابوا، فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا، فقاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركاب يضربون فى كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، فأسلم الناس، ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام، وكتب بذلك إلى رسول الله ﷺ، فكتب إليه رسول الله ﷺ أن يُقْبِل، ويُقْبِل إليه بوفدهم، وقد تقدم أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ، فصالحهم على ألفى حلة، وكتب لهم كتاب أمْنٍ، وألا يغيروا عن دينهم، ولا يحشروا، ولا يعشروا .

وجواب هذا : أن أهل نجران كانوا صنفين : نصارى، وأميين، فصالح النصارى على ما تقدم، وأما الأميون منهم، فبعث إليهم خالدًا[1] فأسلموا، وقدم وفدهم على النبى ﷺ، وهم الذى قال لهم رسول الله ﷺ : «بم كنتم تَغْلِبون من

(١) أى : ابن الوليد .

قاتلكم مِنَّا فى الجاهلية؟» قالوا : كنا نجتمع، ولا نتفرق، ولا نبدأ أحدا بظلم، قال : «صَدَقتم»،وأمر عليهم قيس بن الحصين، وهؤلاء هم بنو الحارث بن كعب، فقوله : بعث عليا إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم أراد به الطائفتين من أهل نجران، صدقات من أسلم منهم، وجزية النصارى .

obeikandl.com

فصل

فى قدوم رسول فَرْوَةَ بن عمرو الجُذَامى ملك عرب الروم

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو الجذامى إلى رسول الله ﷺ رسولا بإسلامه، وأهدى له بغلة بيضاء، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب، وكان منزله مَعَانَ وما حوله من أرض الشام، فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه حتى أخذوه، فحبسوه عندهم، فلما اجتمعت الروم لصلبه على ماء لهم يقال له : عفراء بفلسطين، قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عَفْرا فوق إحدى الرواحل

على ناقة لم يضرب الفحل أمها ... مُشَذَّبَة أطرافها بالمناجل

قال ابن إسحاق : وزعم الزهرى أنهم لما قدموه؛ ليقتلوه قال :

بَلِّغْ سَرَاة المسلمين بأننى ... سِلْم لربى أعْظُمى ومقامى

ثم ضربوا عنقه [وصلبوه][1] على ذلك الماء، يرحمه الله تعالى[2].

---

(١) من السيرة النبوية لابن هشام .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢٣٤، ٢٣٥) .

فصل

فى قدوم وفد بنى سعد بن بكر على رسول الله ﷺ

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن الوليد، عن كُرَيْب مولى ابن عباس، عن ابن عباس قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضِمَام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه فأناخ بعيره على باب المسجد، فعقله، ثم دخل على رسول الله ﷺ وهو فى المسجد جالس فى أصحابه، فقال : أيكم ابن عبد المطلب؟ فقال رسول الله ﷺ : «أنا ابن عبد المطلب»، فقال : محمد؟ قال : «نعم»، فقال : يابن عبد المطلب، إنى سائلك، ومُغْلِظ عليك فى المسألة، فلا تَجِدنَّ فى نفسك، فقال : «لا أجِدُ فى نفسى، فَسَلْ عما بدا لك»، فقال : أنْشُدُك بالله إلهك، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك، آلله بعثك إلينا رسولا؟ فقال : «اللهم نعم» .

قال : فأنشدك الله إلهك، وإله من كان قبلك، وإله من هو كائن بعدك[1]، آلله أمرك أن نعبده لا نشرك به شيئا، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون؟ فقال رسول الله ﷺ : «اللهم نعم»، ثم جعل يذكر فرائض الإسلام، فريضة فريضة : الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وفرائض الإسلام كلها، ينشده عند كل فريضة كما نشده فى التى قبلها، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وسأؤدى هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتنى عنه لا أزيد، ولا أنقص، ثم انصرف راجعا إلى بعيره .

فقال رسول الله ﷺ حين ولى : «إن يَصْدُق ذو العَقِيصتين يَدخُل الجنة»، وكان ضمام رجلا جلدا أشْعَر ذا غديرتين، ثم أتى بعيره، فأطلق عقاله، ثم خرج حتى قدم

(١) فى خ : «بعده»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

على قومه، فاجتمعوا إليه، وكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات، والعزى، فقالوا : مَهْ يا ضمام، اتق البرص والجنون، والجُذام، قال : ويلكم إنهما ما يضران، ولا ينفعان، إن الله قد بعث رسولا، وأنزل عليه كتابا، واستنقذكم به مما كنتم فيه، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإنى قد جئتكم من عنده بما أمركم به، ونهاكم عنه، فوالله ما أمسى فى ذلك اليوم فى حاضرته رجل ولا امرأة إلا مسلما.

قال ابن عباس : فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة[1]، والقصة فى الصحيحين من حديث أنس بنحو هذه[2].

وذِكْرُ الحج فى هذه القصة يدل على أن قدوم ضمام كان بعد فرض الحج، وهذا بعيد، فالظاهر أن هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة، فالله أعلم.

(١)السيرة النبوية لابن هشام (٤ / ٢١٦، ٢١٧)، والطبقات الكبرى لابن سعد (١ / ٢٢٨).
(٢)البخارى فى العلم (٦٣)، ومسلم فى الإيمان (١٢ / ١٠).

obeikandl.com

فصل

فى قدوم طارق بن عبد الله وقومه على النبى ﷺ

روينا فى ذلك لأبى بكر البيهقى، عن جامع بن شداد، قال : حدثنى رجل يقال له : طارق بن عبد الله قال : إنى لقائم بسوق المجاز إذ أقبل رجل عليه جُبَّة له، وهو يقول : «يا أيها الناس، قولوا : لا إله إلا الله تُفْلِحوا» ورجل يتبعه يرميه بالحجارة يقول : يا أيها الناس، إنه كذاب فلا تصدقوه، فقلت : من هذا؟ فقالوا : هذا غلام من بنى هاشم الذى يزعم أنه رسول الله، قال : قلت : من هذا الذى يفعل به هذا؟ قالوا : هذا عمه عبد العزى .

قال : فلما أسلم الناس، وهاجروا خرجنا من الرَّبْذِة نريد المدينة نمتار من تمرها، فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا : لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه، فإذا رجل فى طِمْرين له، فسلم، وقال : من أين أقبل القوم؟ قلنا : من الربذة، قال : وأين تريدون؟ قلنا : نريد هذه المدينة، قال : ما حاجتكم فيها؟ قلنا[1] : نمتار من تمرها، قال : ومعنا ظَعِينة لنا، ومعنا جمل أحمر مخطوم، فقال : أتبيعون جملكم هذا؟ قالوا : نعم بكذا، وكذا صاعا من تمر، قال : فما استوضعنا مما قلنا شيئان فأخذ بخطام الجمل، فانطلق، فلما توارى عنا بحيطان المدينة، ونخلها، قلنا : ما صنعنا، والله ما بعنا جملنا ممن نعرف، ولا أخذنا له ثمنا، قال : تقول المرأة التى معنا : والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه شقة القمر ليلة البدر، أنا ضامنة لثمن جملكم[2] .

وفى رواية ابن إسحاق : قالت الظعينة : فلا تلاوموا، فلقد رأيت وجه رجل لا

---

(١) فى ق : «قالوا» ، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ .
(٢) دلائل النبوة للبيهقى (٥ / ٣٨٠، ٣٨١) .

يغدر بكم، ما رأيت شيئا أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه، فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل فقال : أنا رسولُ رسولِ الله إليكم، هذا تمركم، فكلوا، واشبعوا، واكتالوا، واستوفوا، فأكلنا حتى شبعنا، واكتلنا، واستوفينا، ثم دخلنا المدينة، فدخلنا المسجد، فإذا هو قائم على المنبر يخطب النامس، فأدركنا من خطبته، وهو يقول : «تَصَدَّقوا، فإن الصدقة خير لكم، اليد العُلْيا خير من اليد السُّفلَى، أمَّك، وأباك، وأختك، وأخاك، وأدناك أدناك»، إذ أقبل رجل من بنى يربوع، أو قال : من الأنصار، فقال : يا رسول الله، لنا فى هؤلاء دماء فى الجاهلية، فقال : «إن أمًّا لا تَجْنِى على وَلَدٍ» ثلاث مرات[1].

(١) الحاكم فى المستدرك (٢ / ١٦١، ١٦٢)، وقال : «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».